تنوع التصميم المعماري للبائكات والبلاطات بظلة القبلة في عمارة المسجد بين الابتكار وجمالية العمارة

The architectural design of the arcades and the aisles in the qibla shade of a mosque varies between innovation and architectural aesthetics

أ.د/ عبد الله كامل موسى

أستاذ الآثار الإسلامية ورئيس قسم الحضارات بكلية الدراسات الآسيوية العليا بجامعة الزقازيق

Prof.Dr/ Abdullah Kamel Mousa

Professor of Islamic archaeology and the head of the Department of Civilizations at the Faculty Postgraduate Asian Studies at Zagazig University

dr_abdullahkamel1@yahoo.com

الملخص

شهد المسجد النبوي بالمدينة المنورة (ربيع الأول 1هـ/سبتمبر 622م) في المرحلة الثالثة تطورًا في تخطيطه، حيث قام المسلمون بفعل العامل البيئي بتظليل مكان الصلاة (ظلة القبلة)، والتي اشتملت على ثلاث بلاطات مستقيمة موازية لجدار القبلة، أي تمتد من الشرق إلى الغرب، ويعد أقدم مثل قائم في العمارة الدينية الإسلامية لهذا التخطيط الموازي هو الجامع الأموي بدمشق (86-96هـ/705-715م)، وفي مرحلة تالية عرفت عمارة المسجد التخطيط العمودي بالنسبة لجدار القبلة، حيث يعد المسجد الأقصى خلال العصر الأموي أقدم مثل قائم في العمارة الإسلامية على هذا الطراز، أما التخطيط المتقاطع للبائكات والبلاطات بالنسبة لجدار القبلة فقد نشأ في مسجد رباط سوسة بتونس (206هـ/821م)، حيث تمتد موازية وعمودية في آن واحد، وهو التخطيط الذي وجد على سبيل المثال في مسجد بوفتاتة بسوسة بتونس (223-226هـ/838-841م)، وفي المسجد الجامع في سوسة بتونس (236هـ/850م)، وفي مشهد آل طباطبا (334هـ/943م) بمصر، وفي الجامع الأقمر (519هـ/1125م) بمصر .

الكلمات المفتاحية

المسجد النبوي – ظلة القبلة – البلاطات – البائكات – الجامع الأموي – رباط سوسة – تونس – مسجد بوفتاتة – مسجد سوسة الجامع – مشهد آل طباطبا – الجامع الأقمر .

Abstract

The Prophet's Mosque in Medina witnessed an evolution in planning during its third phase, which occurred in Rabia Al-Awwal 1 AH (September 622 CE). In this phase, Muslims introduced an environmental element by providing shading for the prayer area (known as the Qibla shade). This shade consisted of three straight rows parallel to the Qibla wall, extending from east to west. The earliest example of such a parallel architectural design in Islamic architecture after this phase is the Umayyad Mosque in Damascus (86-96 AH / 705-715 CE). In a subsequent phase, mosque architecture introduced a vertical element to the Qibla wall. The Al-Aqsa Mosque during the Umayyad era is the oldest known example of this style in Islamic architecture. As for the cross-sectional design of of the arcades and the aisles in relation to the Qibla wall, it originated in the

Ribat Sousse Mosque in Tunisia (206 AH / 821 CE), where these elements extended both parallel and perpendicular at the same time. This architectural style can be found in other mosques such as the Bouftata Mosque in Sousse, Tunisia (223-226 AH / 838-841 CE), the Great Mosque in Sousse, Tunisia (236 AH / 850 CE), the Mashhad of the Banu Taba Taba in Egypt (334 AH / 943 CE), and the Al-Aqmar Mosque in Egypt (519 AH / 1125 CE).

Keywords
Prophet's Mosque, Qibla shade, aisles, arcades, Umayyad Mosque, Ribat Sousse, Tunisia, Bouftata Mosque, Great Mosque of Sousse, Mashhad of the Banu Taba Taba, Al-Aqmar Mosque.

المقدمة

يهدف هذا الموضوع إلى دراسة طرز تخطيط المساجد سواء من حيث النشأة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة (ربيع الأول 1هـ/سبتمبر 622م)، أو التطور في العالم الإسلامي، وخاصة في الجامع الأموي بدمشق في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، والمسجد الأقصى في العصر الأموي، ومسجد رباط سوسة بتونس (206هـ/821م)، وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية سواء بالنسبة لفكر النبي، صلى الله عليه وسلم، في عمارة المسجد النبوي، أو جمالية وروعة عمارة المساجد في العصر الأموي من الجانبين المعماري والزخرفي، فقد عرف المسلمون عمارة "ظلة القبلة" بفعل العامل البيئي في المرحلة الثالثة من مراحل بناء المسجد النبوي، وكان الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد آثر أن لا يقتبس أفكارًا لتخطيط مسجده من المعابد القديمة أو الكنائس كما فعل الرومان من قبل سواء قبل المسيحية، أو بعدها، وهو الأمر الذي يعكس بوضوح فكرًا جديدًا استمده الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمسلمون من روح العقيدة الإسلامية من جهة، والبيئة العربية من جهة أخرى، وهي الظلة التي اشتملت على ثلاث بلاطات مستقيمة موازية لجدار القبلة، أي امتدت من الشرق إلى الغرب، ويعد أقدم مثل قائم في العمارة الدينية لهذا الطراز الأول هو الجامع الأموي بدمشق (86-96هـ/705-715م)، أما الطراز الثاني العمودي الذي تمتد فيه البلاطات والبائكات من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة فقد تمثل في المسجد الأقصى، الذي يعد أقدم مثل قائم في العمارة الإسلامية، أما الطراز الثالث الذي يجمع بين الطرازين السابقين، أي تمتد فيه البلاطات والبائكات موازية وعمودية في آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، فيتمثل في مسجد رباط سوسة بتونس، والذي يعد أقدم مثل قائم في العمارة الإسلامية، وهو الطراز الذي استمر في مسجد بوفتاتة بسوسة (223-226هـ/838-841م)، وفي المسجد الجامع في سوسة بتونس (236هـ/850م)، وفي مشهد آل طباطبا (334هـ/943م)، وفي الجامع الأقمر (519هـ/1125م) بمصر . هذا وينقسم البحث إلى أربعة محاور على النحو الآتي

1- المحور الأول : المسجد النبوي بالمدينة المنورة (ربيع الأول 1هـ/سبتمبر 622م) منذ نشأته حتى إنشاء ظلة القبلة .

2- المحور الثاني : التخطيط الموازي لجدار القبلة .

3- المحور الثالث : التخطيط العمودي على جدار القبلة .

4- المحور الرابع : التخطيط المتقاطع بالنسبة لجدار القبلة .

- الموضوع

المحور الأول

-المسجد النبوي بالمدينة المنورة (ربيع الأول 1هـ/سبتمبر 622م) منذ نشأته حتى إنشاء ظلة القبلة :

يشير الشهري [1] إلى أن بشائر هذا الحدث المعماري العظيم المتمثل في المسجد النبوي قد بدأت عندما اختار الله تعالى لرسوله، صلى الله عليه وسلم، يثرب (المدينة - المدينة المنورة) دارًا لمهاجره، ويحدثنا ابن هشام في السيرة عن خروجه، صلى الله عليه وسلم، من وادي بني سالم إلى المدينة عند ذكره "اعتراض القبائل له لينزل عندها"، وذلك بما نصه :" فأتاه عتبان بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، قال : "خلوا سبيلها، فإنها مأمورة"، لناقته : فخلوا سبيلها، فانطلقت..." .[2] وقد شيد النبي، صلى الله عليه وسلم، المسجد النبوي حيث مبرك الناقة، فقد أورد ابن هشام، ما نصه :"مبرك الناقة : حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ مربد – المكان الذي يجفف فيه التمر - لغلامين يتيمين من بني النجار، ثم من بني مالك بن النجار، وهما في حجر معاذ بن عفراء، سهل وسهيل ابني عمرو . فلما بركت، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليها لم ينزل، وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيها، ثم تحلحلت [3] ورزمت [4] وألقت بجرانها (بعنقها) فنزل عنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسأل عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجدًا" .[5] ويحدثنا السمهودي (المتوفى سنة 911هـ/1505م) عن تمهيد الموقع من قبل الرسول، صلى الله عليه وسلم، لبناء مسجده، بما نصه :"وقال المجد : ذكر البيهقي المسجد فقال : كان جدارًا مجدرًا ليس عليه سقف، وقبلته إلى القدس، وكان أسعد بن زرارة بناه، وكان يصلي بأصحابه فيه، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل التي في الحديقة وبالغرقد أن يقطع، وكان فيه قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت، وأمر بالعظام أن تغيب، وكان في المربد ماء مسحل فسيره حتى ذهب – والمسحل : ممشى ماء المطر" .[6] هذا وقد بدأت عمارة المسجد النبوي عقب عملية تمهيد الأرض مباشرة، حيث قام النبي، صلى الله عليه وسلم، بتخطيطه، ثم بتقريب الأحجار من حرار المدينة، وإعداد اللبن في "بقيع الخبخبة ناحية بئر أبي أيوب بالمناصع" والخبخبة شجرة كانت هناك، وكان ابتداء بنيان المسجد في (شهر ربيع الأول سنة 1هـ/سبتمبر 622م)، وقد باشر الرسول، صلى الله عليه وسلم، العمل فيه بنفسه كما تقدم، ولم ينتقل النبي، صلى الله عليه وسلم، من دار أبي أيوب الأنصاري إلا بعد أن أتم عمارة مسجده ومساكنه، التي استغرق البناء فيها ما يقارب أحد عشر شهرًا .[7]

-تخطيط وعمارة المسجد النبوي في المرحلة الأولى

حرص النبي، صلى الله عليه وسلم، على الاقتصاد في النفقة في كل شيء تقريبًا، فقد كان يغلب على المجتمع الإسلامي في عهده البساطة، وخشونة العيش، والجهاد في سبيل الله [8] ، قال ابن خلدون :"...وأيضًا فكان الدين أول الأمر مانعًا من المغالاة أو البنيان والإسراف فيه في غير القصد" [9] ، مما أثر على العمارة بمختلف أنواعها خلال تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، وخاصة عمارة المساجد . وقد جاءت عمارة المسجد في هذه المرحلة بسيطة للغاية تتفق وطبيعة الدولة الإسلامية الناشئة من مختلف جوانبها الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، حيث جاء المسجد النبوي من مساحة مستطيلة الشكل، أغلب الظن مكشوفة، أي غير مسقوفة، وتمتد من الشرق إلى الغرب كما يذكر الشهري [10] بمقدار 63 ذراعًا (31.5م تقريبًا)، ومن

الشمال إلى الجنوب بمقدار 54 ذراعًا، وثلثا ذراع (27.16م تقريبًا)، وتحددها أربعة جدران (جدر) بارتفاع قامة أو بسطة، وتتمثل في جدار القبلة الذي يعد أهم جدران المسجد، وكان يمتد من الشرق إلى الغرب في اتجاه بيت المقدس (الجهة الشمالية) قبلة المسلمين الأولى، ثم يقابله ويوازيه جدار آخر يماثله في الجهة الجنوبية، أما الجداران الشرقي والغربي فيمتدان من الشمال إلى الجنوب بهيئة متعامدة من طرفي الجدار الشمالي (جدار القبلة) على طرفي الجدار الجنوبي . وقد شيدت هذه الجدران في أساسها بالحجر المحفور له في باطن الأرض إلى ارتفاع ثلاثة أذرع (1.50م تقريبًا)، حتى تستقيم الجدران من الناحية الإنشائية، وقد بنيت هذه الجدران أعلى الأساسات باللبن، لبنة فوق لبنة، وهو الأمر الذي يتضح جليًا في نص ابن النجار :"...وجعلوا أساس المسجد من الحجارة، وبنوا باقيه من اللبن" [11] ، وقد اشتمل المسجد على ثلاثة مداخل، قال ابن سعد :"... وجعلوا الأساس قريبًا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن...وجعل قبلته إلى بيت المقدس . وجعل له ثلاثة أبواب : بابًا في مؤخره، وبابًا يقال له باب الرحمة، وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الباب الذي يلي آل عثمان، وجعل طول الجدار بسطة..." .[12]

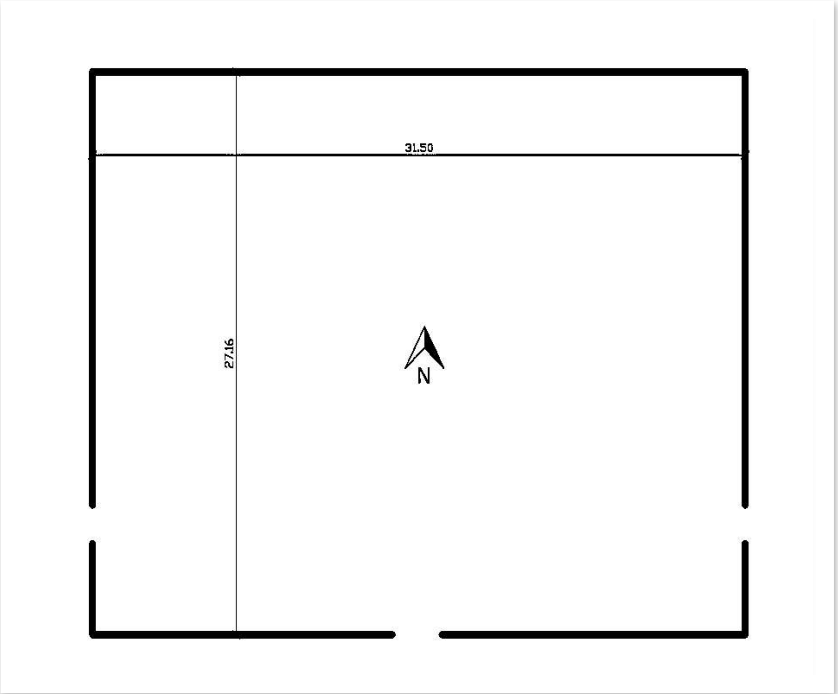

مخطط المسجد النبوي في المرحلة الأولى بمقاييس تقريبية (31.5×27.16م)
عمل الباحث

-تخطيط وعمارة المسجد النبوي في المرحلة الثانية

مما يؤكد على الاقتصاد في النفقة على العمارة أن المسجد النبوي ظل في مرحلته الثانية على نفس التخطيط والعمارة [13] ، فقد ذكر الشهري أن طول المسجد النبوي كان من سبعين ذراعًا (حوالي 35م)، وعرضه أكثر من ستين ذراعًا (حوالي أكثر من 30م)، وارتفاعه كان عبارة عن قامة وشئ، ونوع البناء لبنة ونصف، وأرضه مكشوفة، وفي ذلك أورد ابن النجار :"...ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفًا..." [14] ، ويري الشهري [15] أن الزيادة التي تمت في هذه المرحلة لم تؤثر على تخطيط المسجد، حيث ظل عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل مكشوفة، أي غير مسقوفة، تحددها أربعة جدران لحفظ حرمة المسجد .

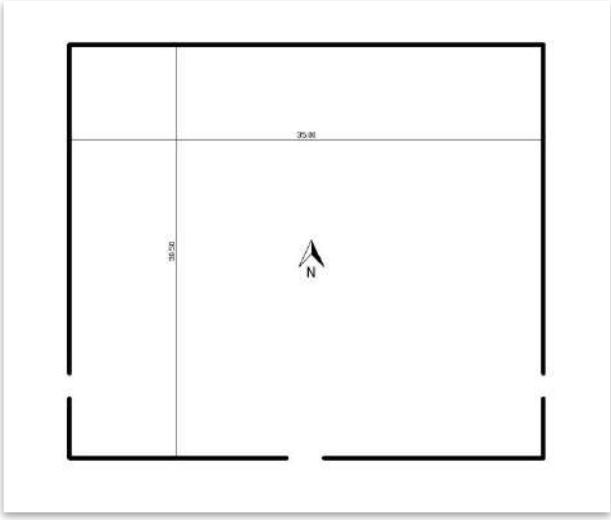

مخطط المسجد النبوي في المرحلة الثانية بمقاييس تقريبية (35×30.5م)
عمل الباحث

- تخطيط وعمارة المسجد النبوي في المرحلة الثالثة

- تظليل مكان الصلاة "ظلة القبلة" بفعل العامل البيئي

شهدت المرحلة الثالثة التي مر بها المسجد النبوي في عصر النبي، صلى الله عليه وسلم، تطورًا في تخطيط المسجد، حيث قام المسلمون بفعل العامل البيئي المتمثل على وجه التحديد في شدة الحر وبعد إستئذان النبي، صلى الله عليه وسلم، بتظليل مكان الصلاة، أي عمل ظلة للقبلة تقيهم شدة الحر، ومن ثم تغير تخطيط المسجد من مساحة مكشوفة مستطيلة الشكل في المرحلتين السابقتين محددة بأربعة جدران إلى صحن مكشوف وظلة للقبلة في الجهة الشمالية . قال ابن النجار :"...ثم قالوا : يا رسول الله لو أمرت فزيد فيه . قال : نعم . فأمر به فزيد فيه وبني جدار لبنتين مختلفتين، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل، قال : نعم . فأمر به فأقيم له سواري من جذوع النخل شقة ثم شقة ثم طرحت عليها العوارض والخصف والأذخر، وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل يكف عليهم، فقالوا : يارسول الله لو أمرت بالمسجد يعمر فطين، فقال صلى الله عليه وسلم لهم : "عريش [16] كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك" فلم يزل كذلك حتى قبض صلى الله عليه وسلم..." .[17] وقد ورد لفظ ظلة في القرآن الكريم في قوله عز وجل في سورة الأعراف :"لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□" .

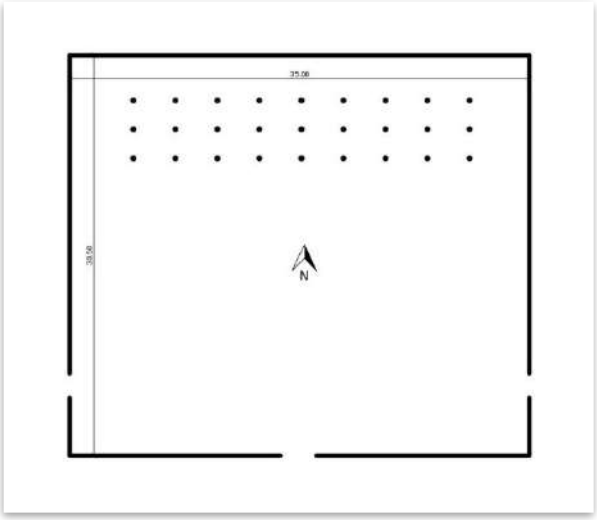

مخطط المسجد النبوي في المرحلة الثالثة بمقاييس تقريبية على غرار المرحلة الثانية
عمل الباحث

هذا وقد كان استخدام السواري من جذوع النخل على مسافات منتظمة من الناحيتين الأفقية والرأسية حتى يمكن وضع العوارض وربطها بجدران المسجد، ويرى أحمد فكري [18] أن ظلة القبلة في الجهة الشمالية كانت تتكون أغلب الظن من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاثة صفوف من جذوع النخل، وهي بلاطات موازية تنقسم إلى بلاطات عمودية بالنسبة لجدار القبلة .

- المصطلحات التي أطلقت على ظلة القبلة

تعد ظلة القبلة أكبر أجزاء المسجد من جهة، وأكثرها أهمية من جهة أخرى، حيث تشمل القبلة، والمنبر، وغير ذلك، وقد أطلقت على هذا الجزء عدة مصطلحات قديمًا وحديثًا منها : المقدم، والمغطى المسقف أو المسقف القبلي، والحرم، والقبلية، ورواق القبلة، وإيوان القبلة أو الإيوان الشرقي، وبيت الصلاة، ويرى البعض أنه يمكن استعمال الإشتقاق العربي الصحيح، وهو المصلى بدلاً من بيت الصلاة .[19] وفي ضوء أن المستشرقين وعلماء الآثار قد تضاربت أقوالهم، وتعارضت نظرياتهم، في مصادر اشتقاق النظام التخطيطي للمساجد [20] ، فإن تصميم المسجد على هذا النحو يعد تصميمًا جديدًا أملاه العامل البيئي من جهة، وفكر الرسول، صلى الله عليه وسلم، من جهة أخرى، فقد آثر الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن لا يقتبس أفكارًا لتخطيط مسجده من المعابد القديمة أو الكنائس كما فعل الرومان من قبل سواء قبل المسيحية، أو بعدها، وهو الأمر الذي يعكس بوضوح فكرًا جديدًا استمده الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمسلمون من روح العقيدة الإسلامية من جهة، والبيئة العربية من جهة أخرى .

-المحور الثاني : التخطيط الموازي لجدار القبلة

مما تقدم يتضح أنه قد تم تحديد موقع المسجد الجامع من المدينة، ثم تحديد اتجاه القبلة، وموضع المحراب الذي أصبح فيما بعد يطلق اصطلاحا على القبلة، وقد روعي أن يتوسط هذا المحراب جدار القبلة، وهو الجدار الذي يمثل المحور أو المركز الذي تتشعب منه جميع عناصر التخطيط الأخرى للمسجد وترتبط به، أي أنه يعد بداية مراحل تخطيط المسجد، ثم إعداد قسم مكشوف في المرحلتين الأولى والثانية من المسجد للصلاة، وهو الذي عرف في المرحلة الثالثة بالظلة، والتي اشتملت على ثلاث بلاطات

مستقيمة موازية لجدار القبلة، أي تمتد من الشرق إلى الغرب، ويعد أقدم مثل قائم في العمارة الدينية لهذا التخطيط الموازي لجدار القبلة هو الجامع الأموي بدمشق (86-96هـ/705-715م)، وتفصيل ذلك على النحو الآتي

-التخطيط الموازي في ظلة القبلة بالجامع الأموي بدمشق في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)

يعد الجامع الأموي بدمشق من روائع العمارة الإسلامية بشكل عام، والدينية بشكل خاص في العصر الأموي، وقد أشار كثير من الجغرافيين، والمؤرخين، والرحالة إلى زخرفة وفنون هذا الجامع، وتحدثوا عن موضوعاتها، وأشادوا بجمالها وحسنها، فقد جمع الخليفة الوليد بن عبد الملك لبنائه أمهر الصناع، والمهندسين، والعمال في العالم من شتى البلاد الإسلامية، بل روي أنه كتب إلى ملك الروم يطلب منه أن يوجه إليه الصناع، وأن ملك الروم أجابه إلى ما طلب، فقد أورد المقدسي عند ذكره دمشق :"هي مصر الشام ودار الملك أيام بني أمية وثم قصورهم وآثارهم بنيانهم خشب وطين..." .[21] كما أورد عند ذكره بناء الجامع الأموي :"ويقال أن الوليد جمع لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم وأنفق عليه خراج الشام سبع سنين مع ثماني عشرة سفينة ذهب وفضة أقلعت من قبرص سوى ما أهدى إليه ملك الروم من الآلات والفسافساء" .[22] وفي ذلك أورد ابن جبير :"هو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا، واتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين . وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه...انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك، رحمه الله، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص اثني عشر ألفًا من الصناع من بلاده...فشرع في بنائه" .[23] هذا وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة الشكل، تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقي (156×97م تقريبًا) [24] ، تتكون من صحن أوسط مكشوف، وأربع ظلات تحيط به من جوانبه الأربعة، أكبرها وأعمقها ظلة القبلة، التي تمتد بطول (136م) تقريبًا، وبعمق (36م) تقريبًا، وتتكون من ثلاث بلاطات، تفصلها ثلاث بائكات [25] ، ويتضح من المسقط الأفقي ونص ابن جبير أن البلاطات والبائكات في ظلة القبلة تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه تطابق وصف ابن جبير مع تخطيط المسجد الحالي، وتكمن أهمية هذا التخطيط في ظلة القبلة في كونه أقدم مثل قائم في العمارة الإسلامية .

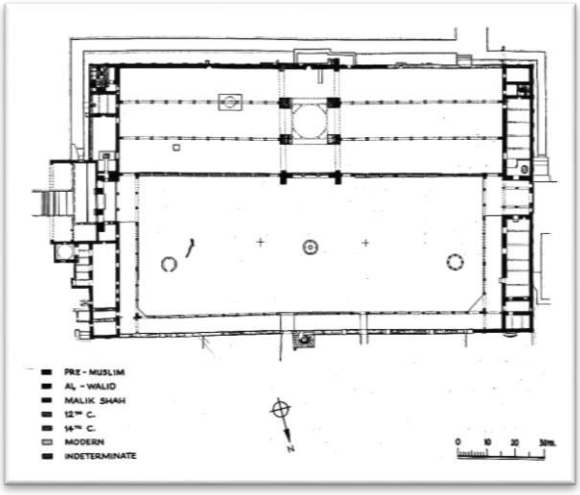

مخطط الجامع الأموي بدمشق عن كريزويل

-المحور الثالث : التخطيط العمودي على جدار القبلة :

-التخطيط العمودي لبائكات المسجد الأقصى في العصر الأموي

يتضح من المسقط الأفقي للمسجد الأقصى أن البلاطات والبائكات فيه تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، وتكمن أهمية هذا التخطيط في كونه أقدم مثل قائم للتخطيط العمودي في العمارة الإسلامية، وتفصيل ذلك على النحو الآتي

شهد المسجد الأقصى خلال عصوره الإسلامية إصلاحات وإضافات عديدة غيرت من معالمه الأولى، وقد أمدنا كريزويل بتصور لتخطيط المسجد في العصر الأموي، فقال إنه كان يشغل مستطيلاً يتكون من بيت للصلاة، يتكون من إحدى عشرة بلاطة عرضية، تمتد من الشرق إلى الغرب، وخمس عشرة بلاطات طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، وقد ميز المعمار البلاطة الوسطى بأن جعلها أوسع البلاطات، ويتوسط المحراب جدار القبلة .

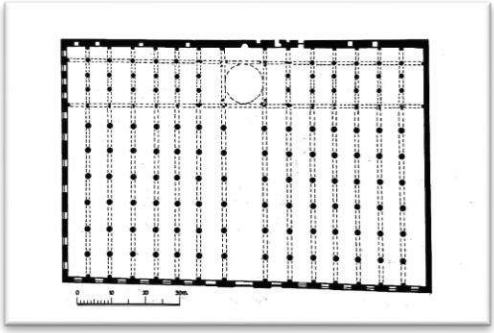

مخطط المسجد الأقصى عن كريزويل

وقد أمدنا أحمد فكري بتصور آخر لتخطيط المسجد في العصر الأموي، فقال إنه كان يشغل مستطيلاً يتكون من بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه (65م)، وعرضه (50م)، يتكون من إحدى عشرة بلاطة عرضية، وعشر بلاطات طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، ولم يكن المحراب يتوسط جدار القبلة، وكان المسجد يشتمل على أحد وعشرين مدخلاً، منها أحد عشر مدخلاً في الجدار الشرقي، وعشر في الجدار الشمالي .[26]

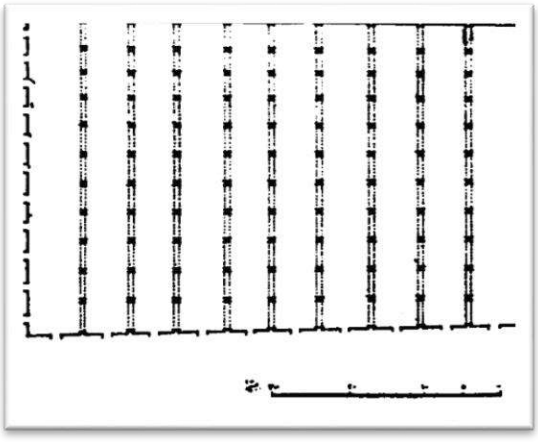

مخطط المسجد الأقصى عن أحمد فكري

وأمدنا فريد شافعي بتصور ثالث لتخطيط المسجد في العصر الأموي، فقال إنه كان يشغل مستطيلاً يتكون من بيت للصلاة، يتكون من إحدى عشرة بلاطة عرضية، تمتد من الشرق إلى الغرب، وخمس عشرة بلاطة طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، ويتوسط المحراب جدار القبلة، وقد ميز المعمار البلاطة الوسطى بأن جعلها أوسع البلاطات

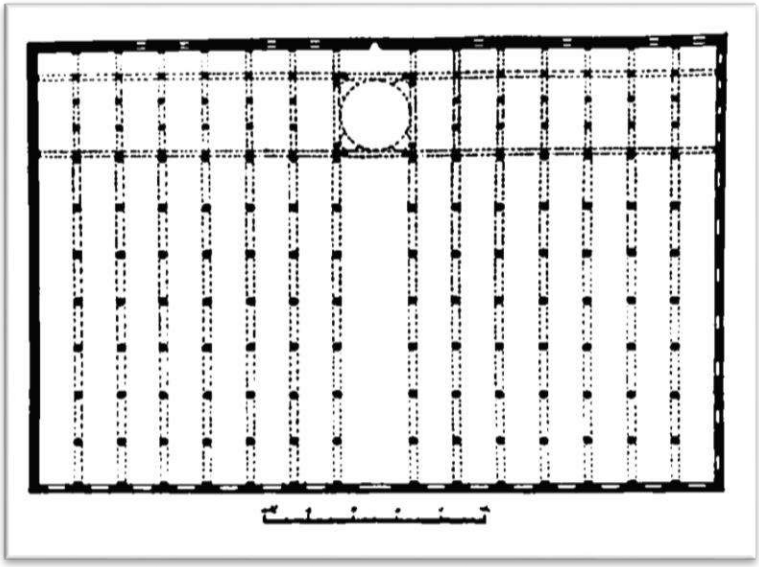

مخطط المسجد الأقصى عن فريد شافعي

-المحور الرابع : التخطيط المتقاطع بالنسبة لجدار القبلة

-نشأة التخطيط المتقاطع للبائكات في مسجد رباط سوسة بتونس (206هـ/821م)

-أولاً : الرباط

يتضح من المسقط الأفقي لمسجد رباط سوسة بتونس (206هـ/821م) أن البلاطات والبائكات فيه تمتد موازية وعمودية في آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، وتكمن أهمية هذا التخطيط في كونه أقدم مثل قائم للتخطيط المتقاطع في العمارة الإسلامية، وتفصيل ذلك على النحو الآتي : كان الخوف من غارات الروم على سواحل تونس من جهة، والاستعداد الدائم للجهاد ضد الروم في صقلية من جهة أخرى حافزًا على عناية الأغالبة بتحصين هذه السواحل، وذلك بإقامة المحارس أو الأربطة، وكانت الأربطة تزود بمنارات توقد فيها النار للنذير باقتراب سفن العدو، وعن طريق هذه الإشارات تستعد المحارس والأربطة المجاورة لملاقاة العدو برًا وبحرًا، ولذلك كثر عددها على سواحل تونس، ويعد رباط سوسة المعروف بقصر الرباط من المنشآت الحربية الهامة في تاريخ العمارة الإسلامية، فقد وصلت إلينا عمارته في حالة جيدة .[27] وفيما يتعلق بالموقع فهو يقع على خليج قابس بداخل أسوار مدينة سوسة في القسم الأدنى منها، أما فيما يتعلق بالمنشئ وتاريخ الإنشاء فهو من إنشاء زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، الذي عرف بزيادة الله الأول، والذي حكم إفريقية خلال الفترة من (201-223هـ/816-837م)، وقد شهدت إفريقية في عهده إزدهارًا عظيمًا، وكان مولعًا بالتشييد والعمارة، وترك آثارًا عديدة منها هذا القصر أو الرباط الذي عرف برباط سوسة، وقد شيده في سنة (206هـ/821م)، ويعد هذا الرباط من الأبنية الأثرية الرائعة والمشهورة في العالم الاسلامي، وقد نقش تاريخ إنشائه في لوحة حجرية توجد فوق باب منارته أو مئذنته، حيث جاء في النص :"مما أمر به الأمير زيادة الله بن إبراهيم أطال الله بقاه على يدي مسرور الخادم مولاه في سنة ست ومائتين (821م)" .[28] أما فيما يتعلق بتخطيط الرباط فقد جاء من مساحة

مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها (39م) تقريبًا، يحيط بها سور خارجي تدعمه أبراج نصف دائرية في ثلاثة جوانب هي : الشمالية، والشرقية، والغربية، بواقع برج نصف دائري يتوسط كل جانب، وهذه الأبراج خلا منها رباط أو قصر المنستير الذي تقدم ذكره .[29] ويشتمل رباط سوسة في أركانه على أبراج زاوية أو شبه دائرية، بواقع برج في كل ركن أو زاوية، فيما عدا الركن الجنوبي الشرقي، الذي جاء مربعًا تقريبًا، تقوم عليه منارة أسطوانية الشكل، تنتهي بجوسق، تعلوه قبة، وهو الأمر الذي يتطابق ومثيله في قصر أو رباط المنستير .[30] وكان ارتفاع الرباط من الخارج حوالي (10م)، يتوصل إليه من خلال المدخل الوحيد بالجهة الجنوبية، ويتميز ببروزه الذي يتوسط هذه الواجهة، وهو قائم الزوايا شأنه في ذلك شأن مدخل رباط المنستير، ويؤدي المدخل من خلال درج هابط إلى داخل الرباط، حيث نصل إلى باب يتوجه عقد مستقيم يفضي إلى ممر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، غطي القسم الأول بقبو متقاطع، أما الثاني والثالث جهة الصحن فقد غطيا كل منهما بقبو نصف برميلي، ويفضي الممر إلى الصحن الذي جاء من مساحة مستطيلة الشكل، تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار (20.40م)، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار (29.20م)، يحيط به من الجهات الشمالية والشرقية والغربية أروقة أو سقائف تطل عليه ببوائك ترتكز عقودها على دعامات نفذت على هيئة حرف (T) .[31]

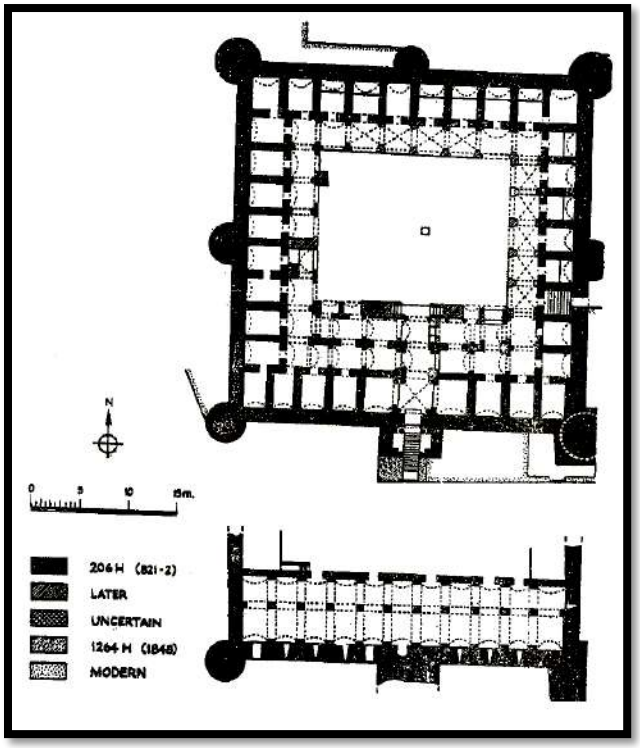

مخطط رباط سوسة عن كريزويل

- ثانيًا : مسجد الرباط والتخطيط المتقاطع

يعلو سطح الرباط في الجهة الجنوبية مسجد، يشغل من هذا السطح أو الطابق الأول مستطيلًا، يبلغ طوله الداخلي (39م)، وعرضه (7م)، ويقتصر تكوين المسجد على ظلة القبلة، أو بيت الصلاة، أو رواق القبلة، إذ ليس لا يشتمل على صحن أو ظلات جانبية (مجنبات) . أما فيما يتعلق بتخطيط هذه الظلة فقد جاء من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، أي تمتدان من الشرق إلى الغرب في موازاة جدار القبلة، وإحدى عشرة بلاطة عمودية عليه، أي تمتد من الشمال إلى الجنوب بحيث تتعامد على جدار القبلة، وتتميز البلاطة التي تتقدم المحراب باتساعها عن البلاطة الثانية، حيث جاءت باتساع (3.70م)، أما البلاطة الثانية فيبلغ اتساعها (2.70م)، ويفصل بين البلاطتين صف من الدعامات، يتكون من عشر دعامات أفقية بالنسبة لجدار القبلة .[32] وترتقي على هذه الدعامات عقود تمتد في اتجاهين، حيث يوجد صف يتكون من أحد عشر عقدًا في موازاة جدار القبلة، وتوجد عشر صفوف عمودية على جدار القبلة، بحيث يتكون كل صف من عقدين، وتنحصر بين هذه العقود الأخيرة إحدى عشرة بلاطة، وتختلف مقاسات البلاطة العمودية بين الدعامات، أقصاها طولًا (2.90م)، وأقصرها (2.40م)، وتختلف المقاسات كذلك في بداية البلاطة الواحدة وعند نهايتها، ولذا فإن عقود البلاطات جميعًا ليست عمودية على جدار القبلة، ولا هي موازية بعضها بعضًا، وتزداد البلاطتان المتطرفتان سعة عن البلاطات الأخرى، ويتوسط جدار القبلة محراب تعلوه قبة تبدو من الخارج بارزة .[33] ويتوصل إلى المسجد من خلال خمسة مداخل في الجدار المقابل لجدار القبلة، اثنان عن يمين المواجه للمحراب، وثلاثة عن يساره، حيث لم يفتح باب يقابل المحراب نفسه في ذلك الجدار، وقد غطيت الأسقف في بلاطات المسجد سواء الموازية أو العمودية بأقبية نصف دائرية أو برميلية .[34]

- التخطيط المتقاطع في مسجد بوفتاتة بسوسة (223-226هـ/838-841م)

يذكر أحمد فكري أنه شيدت في عصر الأغالبة مساجد عدة، تخلف منها على حالتها الأولى أربعة مساجد، شيدت فيما بين سنتي (206هـ/821م) و(250هـ/864م)، وذلك بالإضافة إلى المسجد الجامع في القيروان، وتضم مدينة سوسة التي تقدم ذكرها وحدها ثلاثة مساجد تحتفظ بتواريخ عمارتها مسجلة بالحجارة على بنائها، وذلك بالإضافة إلى احتفاظها بوحداتها وعناصرها المعمارية والزخرفية القديمة، وتحتفظ هذه المدينة أيضًا بأسوارها التي تعتبر أنموذجًا رائعًا للعمارة الحربية، التى شيدت في سنة (245هـ/859م)، وفوق هذا فإن هذه المجموعة التونسية من المساجد متناسقة مظهرًا وبنيانًا .[35] وفيما يتعلق بمسجد بوفتاتة فلا يعرف السبب في تسميته بهذا الاسم كما يذكر أحمد فكري، في حين يرجح حسن حسني عبد الوهاب كما يذكر شريف عبد الوهاب أن بناء هذا المسجد تم على يدي فتاتة مولى المير أبي عقال الأغلب، وهو المشرف أيضًا على إقامة الجانب القبلي من سور المدينة، ولهذا السبب نسب الجامع إليه، فعرف باسمه إلى الآن مع زيادة واضحة للفظ "بو"، وهو مسجد صغير يقع قريبًا من باب سوسة الجنوبي المعروف باسم القيروان . ويشغل المسجد مساحة مستطيلة الشكل، تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب بمقدار (13م)، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار (10م)، ويعتقد أحمد فكري أن المسجد كان يشتمل على صحن يحيط بالمسجد من ثلاث جهات هي : الشمالية، والشرقية، والغربية على غير النظام الذي تبدو عليه الجدران التي تحيط به حاليًا من الشرق ومن الشمال، وذلك لأن الكتابة الكوفية المسجلة على الحجارة في إطار يعلو جدار واجهة المسجد الشمالية، كانت تمتد كذلك على واجهته الغربية، وما زالت تشاهد آثار منها على هذه الواجهة، وفي هذه الكتابات نص يقرأ فيه :"بن إبراهيم الأغلب"، وهو الأمير أبو عقال الذي كان واليًا على إفريقية خلال الفترة من سنة (223هـ/838م) إلى سنة (226هـ/841م) .[36] ويتكون المسجد من ظلة واحدة، تتقدمه سقيفة في الجهة الشمالية منه تشرف على الصحن، وربما استخدمت هذه السقيفة كصحن للجنائز، وتشرف

هذه السقيفة على الصحن من الجهة الشمالية، وذلك من خلال بائكة ثلاثية العقود، كما تفتح هذه السقيفة من خلال باب مفتوح على الصحن من الجهة الشرقية، إذ ليس من المتبع في بلاد المغرب أن تقام هذه الصلاة داخل بيوت الصلاة في المساجد .[37]

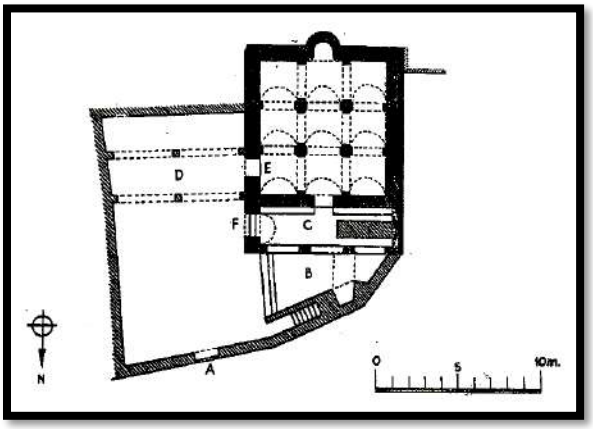

مخطط مسجد بوفناتة عن كريزويل

أما المسجد فيتكون من ثلاث بلاطات تمتد موازية لجدار القبلة، أي من الشرق إلى الغرب، وتتقاطع معها ثلاث بلاطات تمتد عمودية على جدار القبلة، أي من الشمال إلى الجنوب، أي أن البلاطات تمتد موازية وعمودية في آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، حيث يشتمل المسجد على بائكتين موازيتين لجدار القبلة، بكل بائكة ثلاثة عقود ترتكز على دعامتين من جهة، وعلى بروزين بالجدار الشرقي والغربي من جهة أخرى، وترتكز على هذه الدعامات الأربعة بائكتان تمتدان بشكل عمودي على جدار القبلة، بكل بائكة ثلاثة عقود كذلك، أي أن تخطيط المسجد كما يذكر أحمد فكري [38] يرسم مربعًا يتكون من تسع مربعات، طول كل ضلع منها (2.50م) تقريبًا، ويتوسط المحراب جدار القبلة .ويشتمل المسجد على مدخل يتوسط الجدار الشمالي المقابل لجدار القبلة، يتوصل إليه من السقيفة التي تتقدم المسجد، كما يشتمل على فتحتين، إحداهما في الجدار الشرقي، والأخرى في السقيفة التي تفتح على الصحن من الجهة الشرقية .[39]

-التخطيط المتقاطع في المسجد الجامع في سوسة بتونس (236هـ/850م)

يقع هذا المسجد في الطرف الشمالي الشرقي لمدينة سوسة بالقرب من باب البحر، شيده الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم، وقد سجل تاريخ الإنشاء على أفريز حجري بالخط الكوفي حول الصحن يمتد بطول (135م)، حيث يدور هذا الأفريز حول الصحن وفوق عقود المسجد، وقد تضمنت الكتابات المنحوتة بشكل بارز على الحجر آيات من القرآن الكريم، وقد سقطت كما يذكر أحمد فكري [40] نصف هذه الحجارة وتبعثرت في سنة 1361هـ/1942م إثر سقوط قذيفة على صحن المسجد، وكان لأحمد فكري حظ تنظيم هذه الحجارة والمعاونة في إعادة تركيبها من جديد على حالتها الأولى، ولكن الجزء الذي كان يمتد منها على واجهة ظلة القبلة كانت قد اختلت مواضعه عند إضافة رواق إليه في سنة (1086هـ/1675م)، وسقطت بعض حروفه وكلماته، ولذا فإن النص التاريخى لبناء المسجد ليس كاملًا، وإنما يقرأ منه :"مما أمر به...محمد الا...ست وثلاثون ومائتين في المسجد..."، والمعروف أن الأمير الذي كان واليًا على إفريقية في ذلك الوقت هو أبو العباس محمد بن الأغلب .

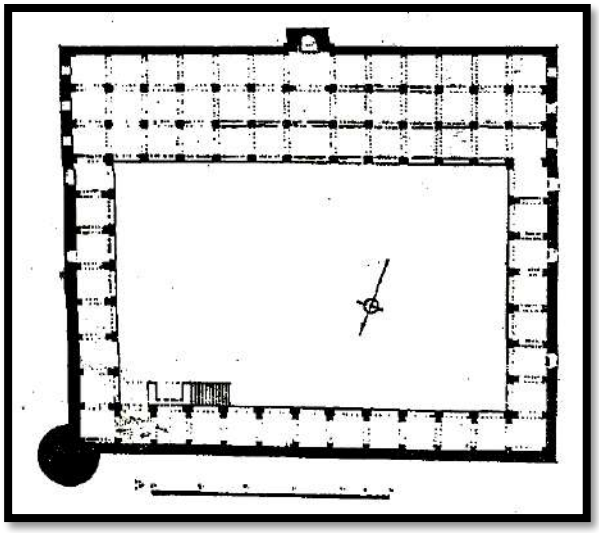

مخطط المسجد الجامع في سوسة في عصر الأغالبة عن أحمد فكري

وعلى الرغم من أنه قد أضيفت إلى المسجد إضافات في فترات تالية غير معروفة، وهدم جدار القبلة، وزيد في ظلة القبلة ثلاث بلاطات من جهة القبلة، وأقيم لها جدار جديد، ومحراب بدلًا من المحراب العتيق، إلا أن هذه الإضافات لم تغير من نظام المسجد الأول كما يذكر أحمد فكري، والذي كان محددًا بالإطار الكتابي المنحوت في الحجر من جهة، وبوحدة البناء من جهة أخرى .[41]وكان المسجد يشغل مستطيلًا، يمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب، حيث يمتد المسجد من الشرق إلى الغرب بمقدار (52م)، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار (44م)، ويحيط به جدار ضخم يبلغ سمكه (1م)، وتنقسم هذه المساحة إلى صحن أوسط فسيح مستطيل الشكل، يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار (41م)، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار (27م)، وأربع ظلات، أكبرها وأعمقها ظلة القبلة، التي تمتد بطول (49م)، كما يبلغ عرضها (10م) تقريبًا . وقد قسمت ظلة القبلة إلى ثلاث بلاطات موازية تمتد من الشرق إلى الغرب بالنسبة لجدار القبلة، وثلاث عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، أي تمتد من الشمال إلى الجنوب، حيث تمتد البائكات موازية وعمودية في آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، وتشتمل هذه البائكات على اثنتي عشرة دعامة، وتحمل كل دعامة، أطراف أربعة عقود بهيئة نصف دائرية مرتفعة موازية لجدار القبلة، وأخرى متجاوزة ومنخفضة عمودية عليه، ويشرف الصف الأخير منها على الصحن من خلال بائكة تتكون من أحد عشر عقدًا، ويتميز العقد الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من بقية العقود، ومن ثم تتميز البلاطة الوسطى العمودية بأنها أكثر اتساعًا من بقية البلاطات، حيث جاءت باتساع (4.30م)، بينما جاءت بقية البلاطات الموازية والعمودية باتساع يزيد قليلًا عن (3م) . وتخطيط ظلة القبلة على هذا النحو يتفق وتخطيط مسجد بوفتاتة بسوسة (223-226هـ/837-841م)، أما بقية ظلات المسجد في الجهات الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية، والشمالية الشرقية فمن بلاطة واحدة، وتشرف هذه الظلات على الصحن ببوائك تتكون عقودها من سبعة في الجانبين، ومن أحد عشر في الجهة المقابلة لظلة القبلة، وهو الجانب الذي ألصق سلم المئذنة بثلاث بوائك منه .[42]

-التخطيط المتقاطع في مشهد آل طباطبا (334هـ/943م)

لم يصل إلينا من آثار الدولة الإخشيدية (323-358هـ/935-969م) التي أسسها محمد بن طغج الإخشيد (323-334هـ/935-946م) بمصر غير مشهد آل طباطبا، الذي كان يقع على بعد (500م) شمالي حمامات عين الصيرة بالقاهرة، وإلى الغرب من مسجد الإمام الشافعي، والذي ينسب إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبى طالب، رضي الله عنه، أما من الناحية المعمارية فقد جاء تخطيطه من مستطيل غير منتظم الأضلاع، يبلغ طوله نحو (30م)، وعرضه نحو (20م)، يشغل طرفه الجنوبي قبتان، ويحيط به جدار به مدخل في الجهة الشمالية الشرقية، ويوجد على يساره حجرة حديثة البناء، مربعة الشكل تعلوها قبة، تضم بداخلها بئرًا كانت تغذي المشهد بالمياه، ويتصل بها بناء مستطيل الشكل، يضم ست غرف، يعلوها قباب وأقبية، بعضها متقاطع، تضم مقابر أسرة طباطبا .وتفضي من جهتها الغربية إلى مصلى مربع الشكل، يبلغ طول ضلعه (18م)، شيد من الآجر، وقسم إلى ثلاث بلاطات تمتد موازية وعمودية في آن واحد، بواسطة صفين من الدعامات ذات أعمدة ملتصقة في الأطراف الأربعة، وقد غطي المصلى بتسع قباب، وزعت بكل بلاطة ثلاث منها، كما يتوسط جدار القبلة، له بروز خارجي، وقد أرخه كريزويل بسنة (334هـ/943م)، أي إلى سنة وفاة الشريف طباطبا الأصغر، حسبما ورد في تاريخ ابن الزيات، الذي أشار إلى أسماء كل من دفن في هذا المشهد من أسرة طباطبا من بينهم عبد الله بن أحمد أخو طباطبا الأصغر، الذي توفي سنة (348هـ/959م)، والذي كانت تربطه علاقات وثيقة مع كافور الإخشيدي .[43]

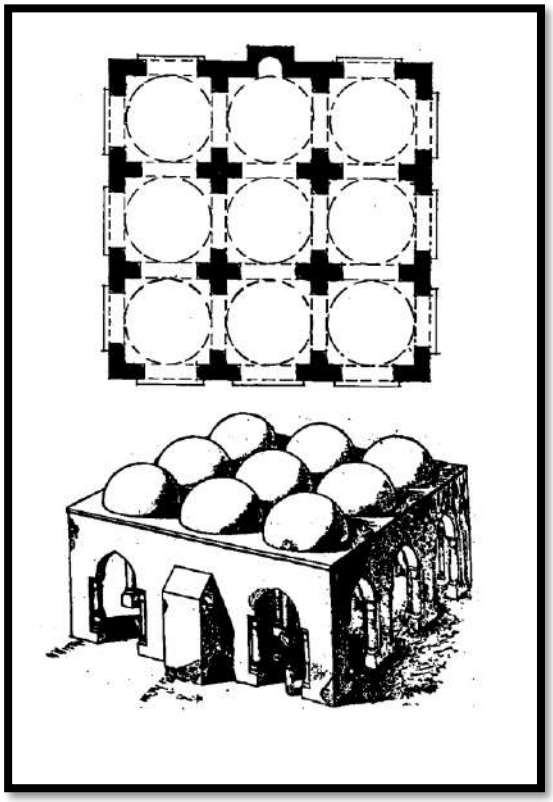

مخطط ومنظور لمشهد آل طباطبا عن فريد شافعي

-التخطيط المتقاطع لبائكات ظلة القبلة في الجامع الأقمر (519هـ/1125م)

يقع هذا الجامع على الجانب الشرقي لشارع المعز لدين الله بالنحاسين، وكان مجاورًا للقصر الشرقي الكبير الذي بناه جوهر القائد لمولاه المعز لدين الله، فقد كان الخليفة الآمر يخرج من باب القصر الشرقي الكبير المعروف بباب الذهب إليه، ذكره المقريزي فقال :" قال ابن عبد الظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في إنشائه جامعا" .[44]

- المنشىء

أنشأه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله على يد وزيره محمد بن أبي شجاع فاتك المعروف بالمأمون البطائحي، وتخلص الدراسات التاريخية الحديثة إلى أن فترة خلافة الآمر ووزارة المأمون البطائحي سنة (515-519هـ/1122-1125م) من أزهى فترات التاريخ الفاطمي [45] ، قال المقريزي :"فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحى فى إنشائه جامعا...وذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه...ومازال اسم المأمون والآمر على لوح فوق المحراب" .[46]

-تاريخ الإنشاء

فرغ الخليفة الآمر بأحكام الله من بناء الجامع الأقمر في سنة (519هـ/1125م)، قال المقريزي :"وكمل الجامع المذكور فى أيامه وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة" .[47] وقد انتهى أحد الباحثين عند دراسته للجامع الأقمر إلى أنه شيد فى الأصل مسجدًا جامعًا ولم يكن مسجد فروض حول إلى مسجد جامع فى العصر المملوكي، كما أشار إلى أنه بمراجعة الكتابات الأثرية التي سجلت على واجهة هذا الجامع من قبل أحد الباحثين وجد الدليل الأثري المادي الذي ينص صراحة على أن هذا المبنى شيد ليكون جامعًا، فقد ورد بالشريط الثاني على الواجهة فوق العضادة الجنوبية للمدخل ما نصه :"(هـ) ذا الجامع المبارك" .[48]وقد شيد الجامع على مساحة في هيئة شبه منحرف، يبلغ طول ضلعها الشمالي (37.5م)، ويبلغ طول ضلعها الجنوبي (31م)، أما ضلعها الشرقي فيبلغ (23.60م)، أما الضلع الغربي فيبلغ طوله حوالي (20م)، وقد أثرت ظروف توفير المساحة التي أنشئ عليها الجامع تأثيرًا مباشرًا على اتخاذ المساحة هذه الهيئة، والتي يلاحظ أيضًا بضلعها الشمالي وروبًا في القطاع الغربي، وبروزًا في القطاع الشرقي بلغ نحو (2.4م) عن بقية الواجهة في هذا الجانب، وبرع المعمار في توفير مساحة مستطيلة منتظمة التربيع من المساحة الكلية التي أنشئ عليها الجامع لظلات الجامع، واستغل المساحات الباقية في عمل حجرات، أو عناصر اتصال (درج)، أو حواصل لخدمة الجامع، كما شطف زاوية الركن الشمالي الغربي، ثم ارتد بها من أعلى إلى زاويتها القائمة حتى يسهل حركة مرور الدواب في هذه النقطة .[49]وتقع الواجهة الرئيسية فى الجهة الشمالية الغربية، وهى واجهة حجرية تعد آية من آيات الفن المعماري، فهي من أبدع وأقدم الواجهات الحجرية فى العمارة الدينية المصرية، يبلغ طولها (19.94م)، وارتفاعها (12م)، وقسمت إلى ثلاثة أقسام، الأوسط يمثل واجهة المدخل الرئيسي، ويبلغ طوله (7.10م)، ويبرز عن سمت الواجهة فى الجانب الشمالي بمقدار (65سم)، وفى الجانب الجنوبي بمقدار (75سم)، وقسمان جانبيان، يبلغ طول كل منهما (6.42م)، وقد أعيد ترميم القسم الجنوبي بنفس شكل وقياسات القسم الشمالي من قبل طائفة البهرة، ويتوسط القسم الأوسط دخلة بصدرها فتحة المدخل الرئيسي، وهي باتساع (1.85م)، يعلوها عقد مستقيم من صنجات معشقة تعد أقدم مثال في العمارة الدينية الفاطمية بمصر، غير أنها وجدت في بابي الفتوح والنصر بالسور الشمالي، ويعلو صدر حنية المدخل طاقية يتقدمها عقد منكسر، ويتوسط هذه الطاقية من أسفل جامة مستديرة الشكل، نقش بمركزها اسما "محمد" و "علي" .[50]

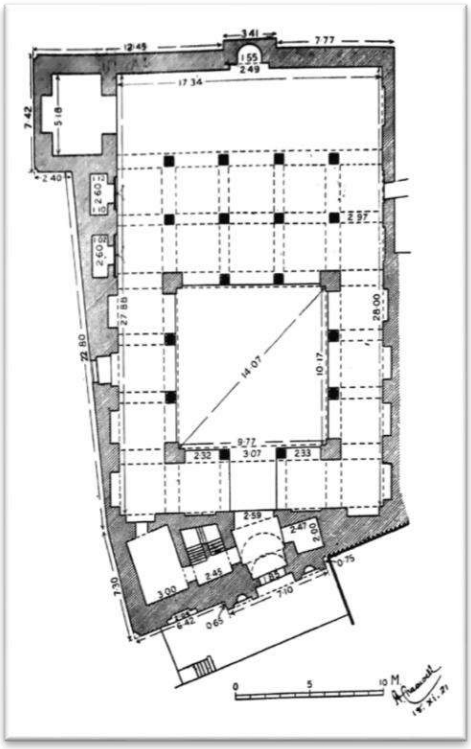

مسقط أفقي للجامع الأقمر عن كريزويل

أما ظلة القبلة فتشرف على الصحن من خلال بائكة ثلاثية، يتميز العقد الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من العقدين الجانبيين، حيث جاء العقد الأوسط باتساع (3.07م)، بينما جاء اتساع العقدين الجانبيين (2.33م)، ويقع العقد الأوسط على محور المحراب تمامًا، وتتكون هذه الظلة من ثلاث بلاطات، تفصلها ثلاث بائكات موازية لجدار القبلة، ثم خمس بلاطات عمودية، تفصلها أربع بائكات عمودية على اتجاه جدار القبلة، حيث أوجدها المعمار بين البائكتين الموازيتين الأولى والثالثة، ومن ثم نتج عن ذلك عشر مربعات، يعلو تسع منها قباب ضحلة محمولة على مثلثات كروية .ويعلو المربع العاشر شخشيخة لإضاءة الظلة، وتميزت بلاطة المحراب بسعتها (5م) مقارنة بالبلاطتين الثانية والثالثة (3م)، وقد غطيت بسقف خشبي مجدد، ويذكر حسن [51] عبد الوهاب أنه يبدو أنه كانت توجد مقصورة خشبية ببلاطة المحراب، أما حنية المحراب فتتوسط الجدار الجنوبي الشرقي، وهي عبارة عن دخلة، يبلغ اتساعها (2.49م)، بصدرها حنية تأخذ شكلا مقوسًا يزيد على نصف الدائرة، يبلغ اتساعها (1.55م)، ويعلو هذه الحنية طاقية يتقدمها عقد ذو أربعة مراكز يرتكز على عمودين من الرخام، قطاعهما مستدير بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل، وقد جدد المحراب ضمن تجديدات يلبغا السالمي للجامع سنة 799هـ/1397م .[52]ويشتمل الجدار الجنوبي على ثلاث دخلات، الوسطى منها تشتمل على فتحة الباب الجنوبي، التي تؤدي إلى البلاطة الوسطى، ويشتمل الجدار الشمالي على ثلاث فتحات، تؤدي الفتحة الشرقية منها إلى حجرة كبيرة مستطيلة الشكل، بصدرها دخلة، اما الفتحتان الثانية والثالثة من الشرق إلى الغرب فكل منهما بصدرها حنية على نفس محور الحنية في الجدار المقابل، وتؤدي كل منهما إلى حاصلين .

ـ الخاتمة

بعد دراسة موضوع "تنوع التصميم المعماري للبائكات والبلاطات بظلة القبلة في عمارة المسجد بين الابتكار وجمالية العمارة"، يمكن عرض النتائج على النحو الآتي :

-في المحور الأول، ألقى البحث الضوء على نشأة ظلة القبلة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة (ربيع الأول 1هـ/سبتمبر 622م) في المرحلة الثالثة من المراحل الخمس التي مر بها في العصر النبوي بفعل العامل البيئي .

-في المحور الثاني، ألقى الباحث الضوء على التخطيط الأول الذي تمتد فيه البلاطات والبئكات موازية لجدار القبلة، أي من الشرق إلى الغرب، والذي يعد امتدادًا لتخطيط ظلة القبلة في المسجد النبوي، وهو التخطيط الذي وجد في الجامع الأموي بدمشق في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، كأقدم مثل باق في العالم الإسلامي .

-في المحور الثالث ألقى الباحث الضوء على التخطيط الثاني الذي تمتد فيه البلاطات والبائكات عمودية على جدار القبلة، أي من الشمال إلى الجنوب، وهو التخطيط الذي وجد في المسجد الأقصى في العصر الأموي، كأقدم مثل باق في العالم الإسلامي

-في المحور الرابع ألقى الباحث الضوء على نشأة التخطيط الثالث الذي تمتد فيه البلاطات والبائكات موازية وعمودية في آن واحد بالنسبة لجدار القبلة، وهو التخطيط الذي نشأ في مسجد رباط سوسة بتونس (206هـ/821م)، كأقدم مثل باق في العالم الإسلامي، وهو التخطيط الذي استمر على سبيل المثال في مسجد بوفتاتة بسوسة بتونس (223-226هـ/838-841م)، وفي المسجد الجامع في سوسة بتونس (236هـ/850م)، وفي مشهد آل طباطبا (334هـ/943م) بمصر، وفي الجامع الأقمر (519هـ/1125م) بمصر .

-اللوحات

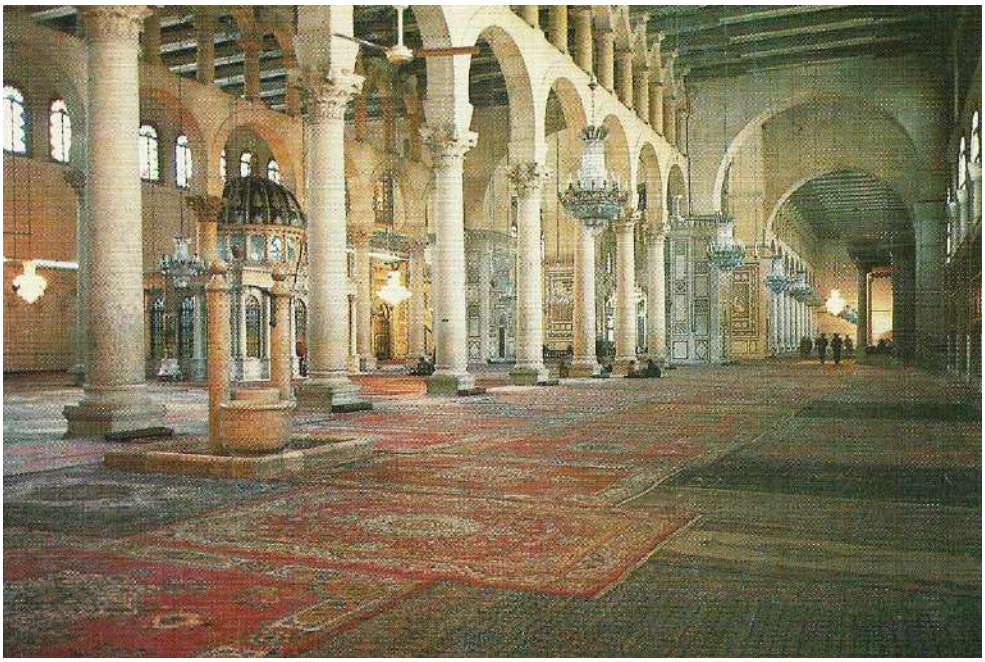

الجامع الأموي من الداخل

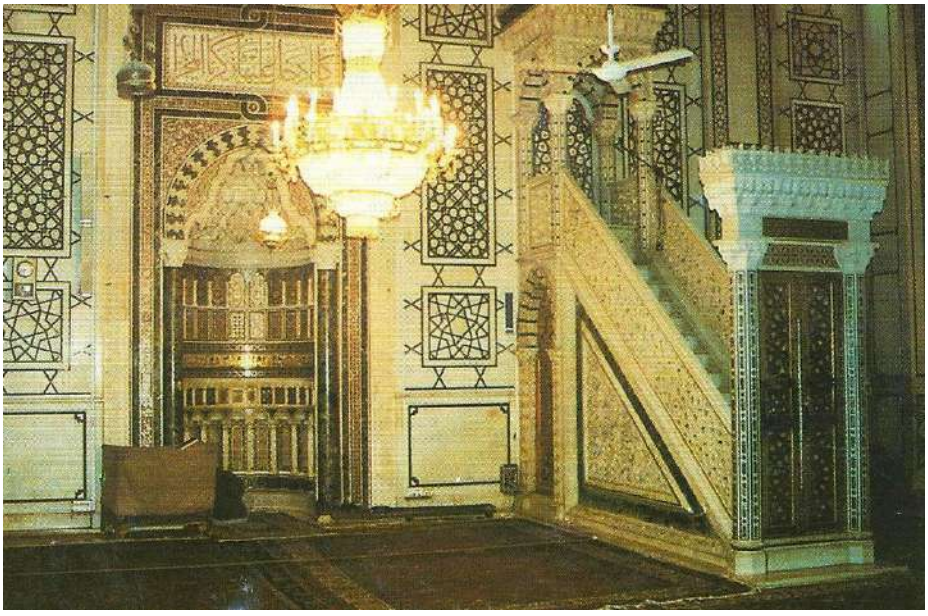

محراب ومنبر الجامع الأموي

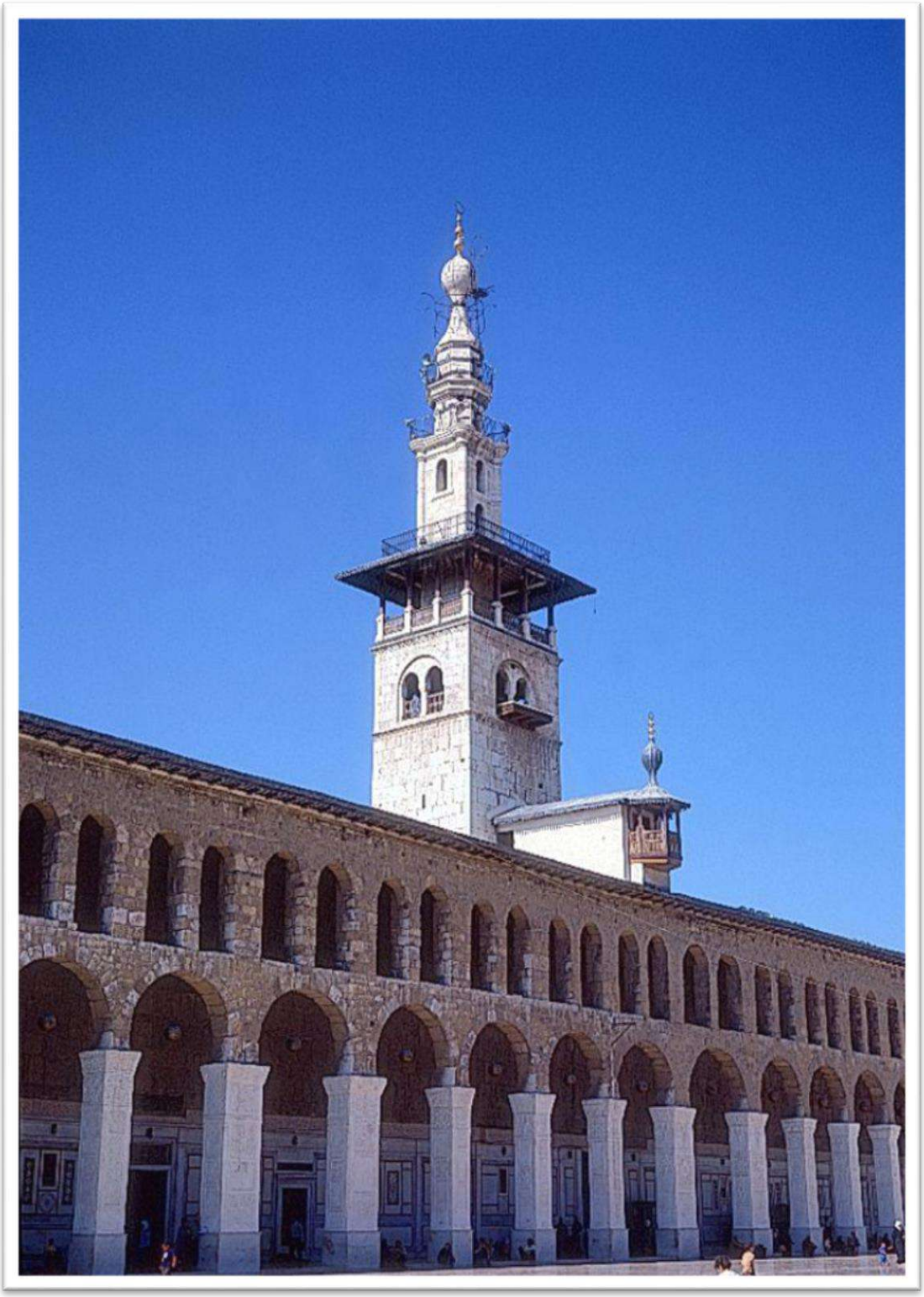

الجامع الأموي بدمشق من الداخل
عن موقع متحف بلا حدود

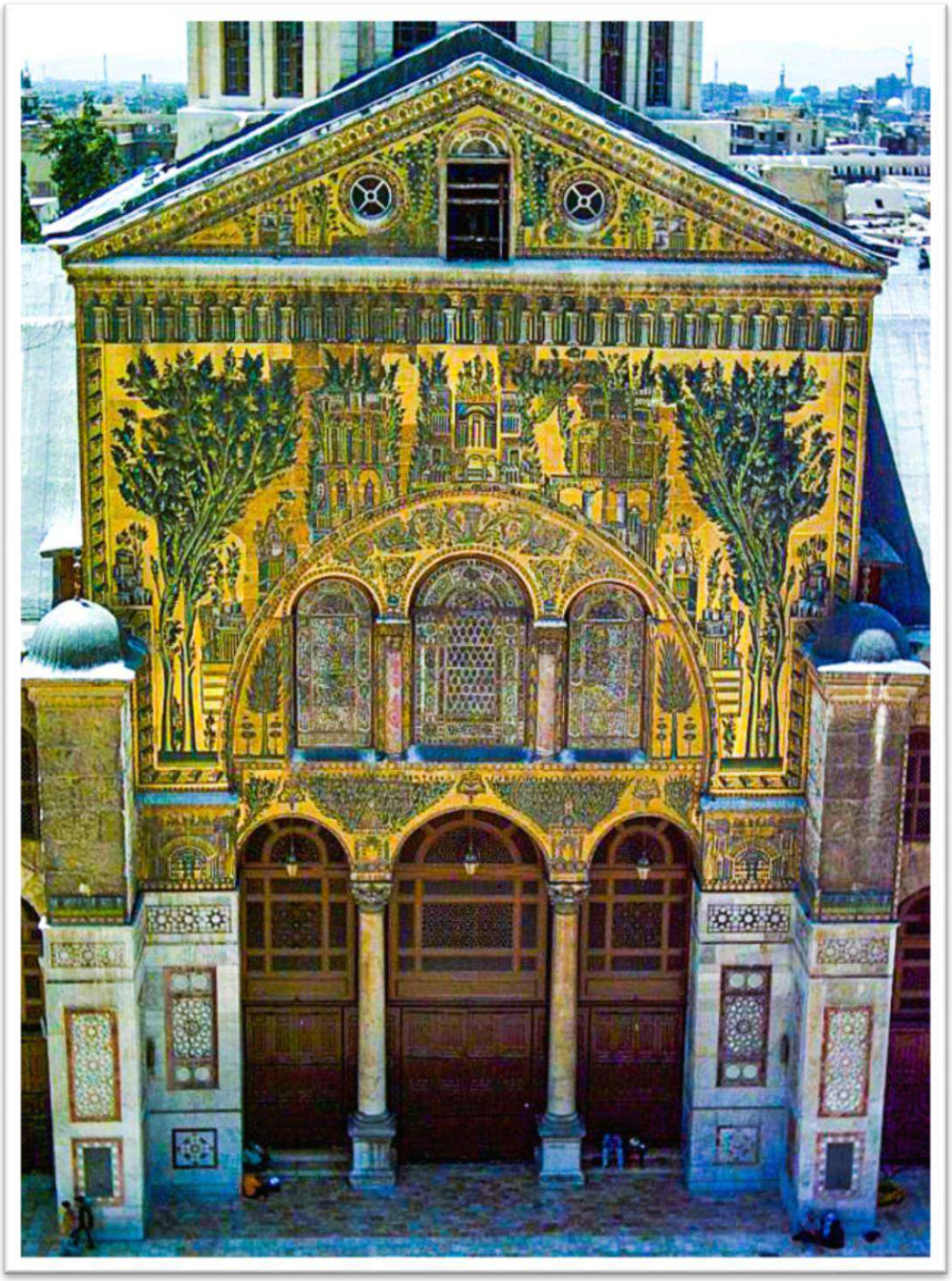

واجهة ظلة القبلة على الصحن في الجامع الأموي
عن موقع متحف بلا حدود

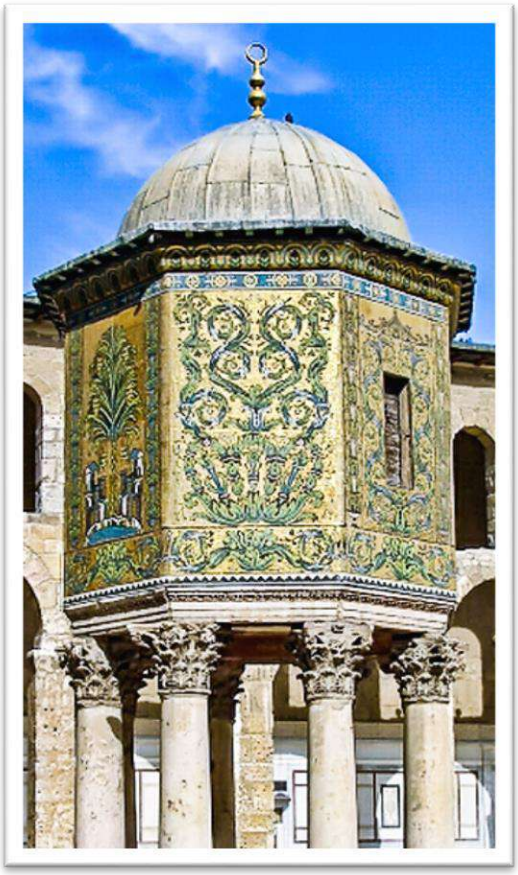

قبة بيت المال بصحن الجامع الأموي

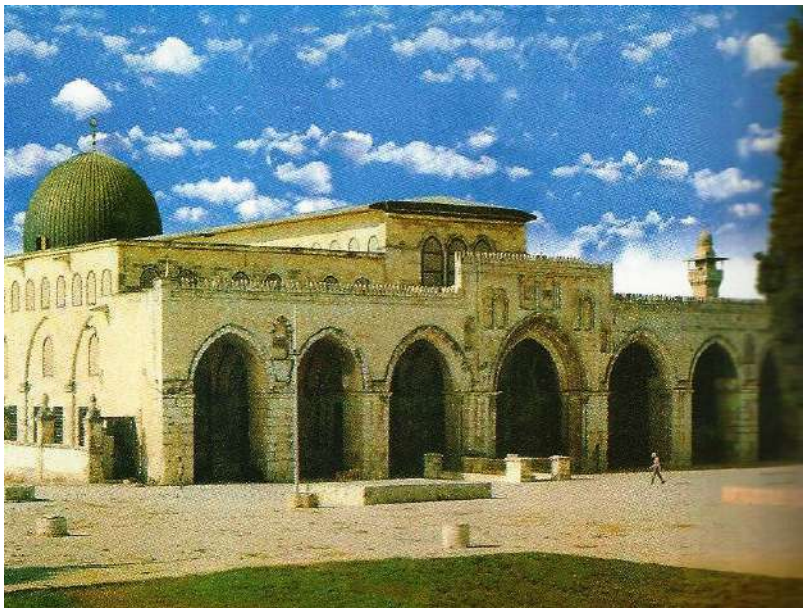

المسجد الأقصى

رباط سوسة

رباط سوسة

مسجد بوفتاتة

المسجد الجامع في سوسة

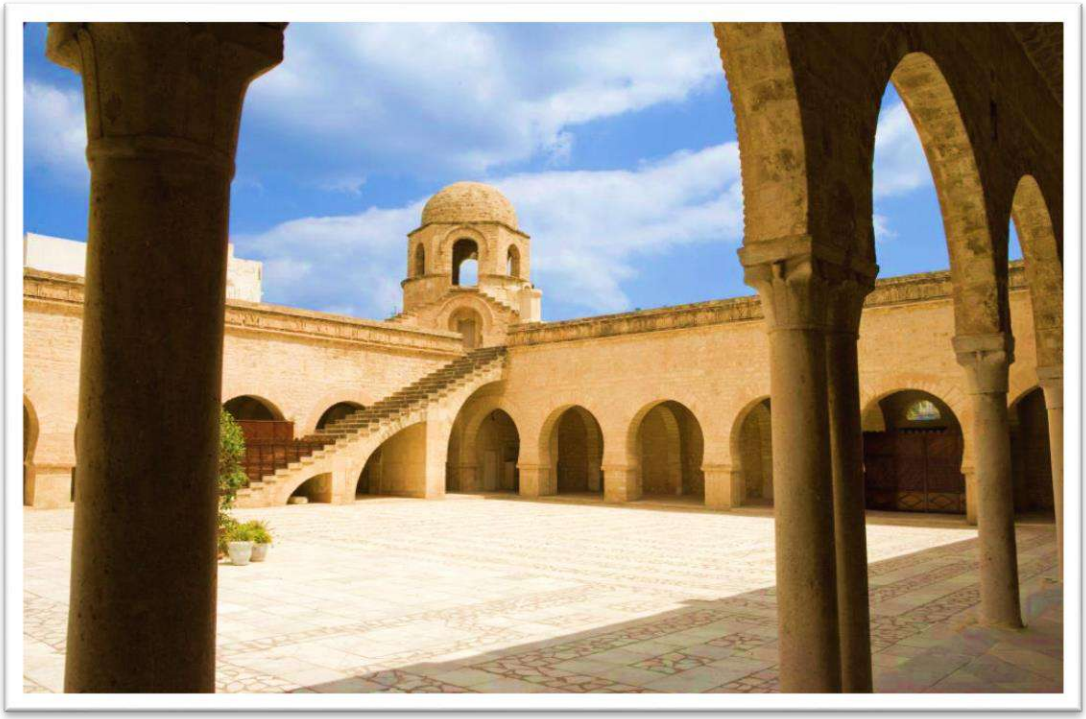

المسجد الجامع في سوسة

واجهة الجامع الأقمر

تفصيل من واجهة الجامع الأقمر

- الهوامش والتعليقات

[1] الشهري، محمد هزاع، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، دار القاهرة، ط1، 2001م، ص23 .
[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت218هـ/833م، السيرة النبوية، علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، 1416هـ/1996م، ج2، ص136 .
[3] لصقت بموضعها : ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص137 هامش2 .
[4] رزمت الناقة رزومًا إذا أقامت من الكلال زوم ونوق رزمي، أما أرزمت بالألف، فمعناه : رغت ورجعت في رغائها، ويقال منه : أرزم الرعد، وأرزمت الريح .
ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص137 هامش2 .
[5] ابن هشام، السيرة، ج2، صص137-138، الطبري، أبى جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ/ 922م، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، مج2، ص8، ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت 630هـ/ 1232م، الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، مج2، ص5 .

[6] السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، ت911هـ/1506م، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه، وفصله، وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1374هـ/1955م، ج1، ص326 .

الغرقد : شجيرة تسمو من متر إلى ثلاثة من الفصيلة الباذنجانية، ساقها وفروعها بيض تشبه العوسج فى أوراقها اللحمية وفروعها الشائكة، وأزهارها الطويلة العنق عبقة الريح بيضاء مخضرة، وثمرتها مخروطة تؤكل، وتسمى أيضًا : الغردق . مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط3، جمهورية مصر العربية، 1405هـ/1985م ج2، ص675 .
[7] المناصع : موضع خارج المدينة المنورة .
الشهري، عمارة، صص30-31. أنظر أيضًا : الفايدي، تنيضب بن عواده، صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب، قائمة أو داثرة، ط1، المدينة المنورة، 1432هـ ، صص143-144 .
بدأ سعد عبد العزيز الراشد المساجد بالمسجد النبوي، ولكننا بدأناها بعمارة المساجد بمكة المكرمة والمدينة المنورة قبل الهجرة وفي أثناءها، ثم عمارة المسجد النبوي .
أنظر : الراشد، سعد عبد العزيز، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، مطابع جامعة الملك سعود، 1410هـ/1989م، ج2، صص145-147 .
[8] حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط13، 1411هـ/1991م، ج1، ص418 .

[9] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت 808هـ/1405م، مقدمة ابن خلدون، اعتنى به هيثم جمعة هلال، دار مكتبة المعارف – ناشرون، ط2، بيروت، لبنان، 2017م، ص393 .

[10] الشهري، عمارة، ص38 .
البسطة هي قامة الرجل مع رفع اليد لأعلى .
الشهري، عمارة، ص34 هامش6 .
[11] ابن النجار، أبو عبد الله البغدادي، ت647هـ/1249م، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، من تراث الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م، ص146 .

[12] ابن سعد (محمد) ت230هـ/844م، الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ج1، صص115- 116 .

[13] الشهري، عمارة، ص38 .
[14] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص147، الشهري، عمارة، ص38 .
[15] الشهري، عمارة، ص38 .
[16] "قيل للحسن ما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يده بلغ العريش – يعني السقف" .
مزيد من التفاصيل أنظر : حسن، نوبي محمد، عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2002م، ص94 .
[17] ابن النجار، الدرة الثمينة، ص147، المعجم الوسيط، ج1، صص527-528 .
والخصف من خصفت و"خصفت الشئ إلى الشئ : ضمه إليه...(أخصف) العريان الورق علي بدنه : خصفه"، والأذخر : حشيش طيب الريح" .
المعجم الوسيط، ج1، ص247، الشهري، عمارة، ص35 هامش1 .
[18] فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، الإسكندرية، 1381هـ/1961م، صص170-171 .
[19] الحداد، محمد حمزة، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنهوض الأثرية والوثائقية والتاريخية، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1996م، صص35-36 .
[20] فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ص293 .
[21] المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله، ت380هـ/990م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص156 .
[22] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص158 .
[23] ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد، ت 614هـ/1217م، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف ب : رحلة ابن جبير، دار وكتبة الهلال، بيروت، ط2، لبنان، 1986م، ص211 .
[24] ابن جبير، رحلة، صص212–213، محاسنة، محمد حسين، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، نشر الأوائل، ط1، دمشق، 2001م، ص71 .
[25] ابن جبير، رحلة، ص213 .
[26] فكري، مساجد القاهرة، المدخل، ص212 .
[27] موسى، عبد الله كامل، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2018م، ص333 .

[28] فكري، المدخل، صص252-253، الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص172 .
[29] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، صص333-334 .
[30] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ص334 .
[31] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ص334 .
[32] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ص335 .
[33] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، صص335-336 .
[34] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ص336 .

[35] فكري، المدخل، ص249 .
[36] فكري، المدخل، صص235-254، محمد، شريف عبد الوهاب السيد، منشآت الأغالبة في إفريقية "العمائر الدينية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار الإسلامية والمصرية، جامعة الإسكندرية، 1428هـ/2007م، ص149 .
[37] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ص351 .
[38] فكري، المدخل، ص254 .
[39] موسى، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ص352 .
[40] فكري، المدخل، ص250 .
[41] فكري، المدخل، ص250 .
[42] موسى، عبد الله كامل، العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، صص372-373 .
[43] محمد، سعاد ماهر، محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، 1404هـ /1983م، ج1، صص158-163 .
[44] المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت845هـ/1441م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط2 ، 1987م، ج2، ص290 .
[45] عثمان، محمد عبد الستار، الجامع الأقمر دراسة آثارية مذهبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2012م، ص17 .
[46] المقريزي، الخطط، ج2، ص290 .
[47] المقريزي، الخطط، ج2، ص290 .
[48] عثمان، محمد عبد الستار، العمارة الفاطمية الحربية – المدنية – الدينية، موسوعة العمارة الفاطمية، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 2006م، ج1، ص328 .
[49] محمد عبد الستار، العمارة، ج1، ص338 .
[50] محمد عبد الستار، العمارة، ج1، صص338-339، عبد الرازق، أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة،1993م، صص251-252 .
Hillenbrand, Robert, Islamic Architecture, The American University in Cairo Press, Cairo, Egypt, 2000, P.124.
[51] عبد الوهاب، حسن، تاريخ المساجد الأثرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص72 .
[52] محمد عبد الستار، العمارة، ج1، ص350 .